خلف سطور المخطوطة الشرقية

دراسة في تأويل الشخصية والوقع الحركي للنص

أ . م. رقية اياد احمد

المقدمة

من المدهش ان خاصية الكلام لاتتوقف حتى مع الصمت ، سواء كان هذا الصمت تعطيل لجهاز النطق ، ام مرض يعجز معه الانسان عن الكلام ، والاغرب من ذلك ان الانسان لايتوقف عن الكلام حتى اثناء النوم ، تفسه الاحلام وما يدور فيها من محاورات ، وان تكن صامته اغلبها .

اذن اصبح من الحتمية ان تقدم ثيمة لغوية تدعو للتواصل ، ما دام هناك اشخاص يتحاورون .

ولان الرواية رؤية اخرى للحياة ، فلا شك ان تحضر الاشخاص ، ليجد التواصل معناه ، لاسيما التواصل القرائي ، وكل ما يطرحه من تأويلات مفتوحه تصرح بها الشخصية او تخفيها ، لتتوجه بدورها الى القاريء ، فيحمل اعباءها وحده ، ويصير معنيا بنتائجها وحده .

هذا اذا وصفنا الشخصية بالوعاء الناقل ، والذي يربط طرفي الرواية ، الطرف المخفي (الكاتب) ، والطرف الظاهر (القاريء) ، وهي تستوعب افكار الرواية وانفعالاتها وان خلت من وصف جسدي او ظاهري يتعلق بالملبس والامتعة والاكسسوارات ، بذلك تصبح الشخصية بتجريدها الركن الاساس في عمليتي الكتابة والقراءة معا .

وقد نصادف مع الكتابات الحديثة ، شخصيات تأخذ وضع الجمود ، وتصبح مع السرد مجرد ترديد للذات ، وانحسار للنفس داخل سجن الجسد ، واجترار للماضي لا تبرز الا باستذكار شخصيات اسطورية تعينها على التشبث بالحياة ، وقد تناولت ما تقدم في محاور عدة ، منها علاقة الاسماء الشخصيات ، (الموروث بشقيه الاسطوري والديني) والشخصيات التاريخية ، وايضا تحليل الشخصية هيرمونوطيقيا ، اذ لابد للقاريء ان يفهم الشخصية الروائية ، كي يستطيع التواصل معها ، او تساعده هي ايضا على الاشتراك واياها في طريقة فهمها للعالم .

فالرواية ليست الا طريقة جديدة لفهم الحياة ، والمحور الاخير هو الوقع الحركي للنص ، وهو يقوم بدور اساس في انتقال الاحداث من مكان الى اخر ، وان كانت في الاصل تناصا ، يحاول ان يؤسس بها المؤلف لروايته ، حتى وان تجاوز على قدسية بعض النصوص ، اذ يصل الامر الى التهكم بالشخصيات الدينية ، اثناء قلب المفاهيم المستقرة ، واخيرا النتائج التي تعد خلاصة الدراسة واهم الملاحظات فيها .

الكلمة المفتاح:التأويل _ الدلالة _ الشخصية _ الحركة_ النص

علاقة الاسماء بالشخصيات

في رواية (المخطوطة الشرقية) لواسيني الاعرج موضوعة البحث ترسم الشخصيات لنفسها ملامح غير التي درجنا عليها ،فكل واحدة منها يمكن ان تتجزأ الى اثنين او ثلاثة اوجه بما تحمله من ارث

تأريخي وما تضفيه من بعد معرفي ، تاويلي ، يمتد ليستوعب الرواية كلها ، بانفعالاتها وطموحها واخفاقاتها ، بجموحها وكبوتها ، فهي الواجهة التي لاحيال امامها الا فك رموزها ، قرائيا ، واستنطاقها على نحو ينسجم مع ثقافة القاريء ، واخص القاريء باذكر لانه الموجه الثاني والاخير لافعال الشخصيات ، بع ان خرجت من رحم التاليف ، اذ يصبح من غير المجدي ان نولي اهمية لصفة الاعتباطية ، التي قد تلحق عملية التاليف ، ولو بجزء يسير منها ، اذ مجال للقدرية ، ان اوهمنا بها ، او توهمناها ، بما ان الكاتب هو خالق الشخصية .

وللقاريء ان يتصور مدى التحكم الدقيق في شخصيات الرواية حتى مع اسمها ، الذي قد يشكل لها نوعا من التبعية التاريخية ، والاستحضار الدائم لتداعيات الاسم مع كل تداول ، مما يجعلنا نتمسك قرائيا بكل ما تفرزه الشخصيات من حوارات مهما كانت درجة جاهليتها او علميتها ، لابل قد نفقد الاهتمام تدريجيا بالمحيط (الزمان والمكان) الروائي ، ولانعتني به عبر مروره بالمعرفية الشخصية ، وقد يهمل العنصران لصالح الشخصية اثناء عملية الكتابة ، فلا يعدو ان يكون المكان محتوى للشخصيات او مسرحا لها ، اما الزمن فينسحب تدريجيا نحو التلاشي والنسيان ، من ذلك تتاتى اهمية الشخصية ذلك ان " لا رواية من دون شخصية تقود الاحداث ، وتنظم الافعال ، وتعطي القصة بعدها الحكائي ..... ثم ان الشخصية الروائية فوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الاخرى ، بما فيها الاحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطراده " 1.

وللقاريء ان يتصور مدى التحكم الروائي الدقيق في شخصيات الرواية وبعدها الفكري والانفعالي ، اذ تتجاوز كل عقبة فجائية ، فلا تدع مجالا للصدفة او الاستكناه .

ومع كل الصفات الروائية التي تلحق الشخصية من تحايل والتفاف وانفعال وذكاء وتلون ، يضيف لها الكاتب بعدا تاريخيا عندما يطلق عليها اسما معروفا ، فيقرنها بشكل مباشر او غير مباشر او غير مباشر ، بصفات صاحب الاسم واسقاطاته التاريخية المعروفة ، فيجبره على الدخول الى عالمه الافتراضي .

في رواية المخطوطة الشرقية نواجه تمرسا كتابيا من نوع خاص ، فالكاتب يحاول الامساك باسقاطات الحاضر ، وتداعيات التراث ، لتصبح جزءا لايتجزأ من ثقافة شخصيته الروائية (البطل)، بفرزها الاسم بالدرجة الاولى ،ف(نوح) البطل الاساس في الرواية ، وللقاريء ان يتصور مايشاء عن نوح هذا ، هل هو النبي ، ام هل هو الشخص الصالح صاحب السفينه ، ام الشخصية المنفردة بصفاتها في الرواية ، وهاهي الشخصية تصف نفسها ، يقول (نوح):

" وها الامير نوح ، حامي الذرية الجديدة يهيء سفينته لملء الدنيا بذريته الصالحه التي تعيد دم الاجداد الى منبعه (كلام كبير بالله ما عليهش هؤلاء الاوغاد في حاجة الى من يهديهم قليلا بالكلام الذي يشتهون)"2.

"طيبتك ذكرتني بنوح (الاصلي) الذي جاءوا به من بعيد ليمسحوا اوساخهم وبعدها قتلوه ، كان شاعرا مثلك ، يملا علينا الدنيا بحنينه داخل قفر كان اسمه الوطن ..... عيب نوح انه كان شاعرا في وضع لم يكن يحفل بالشعر كثيرا ، لايتفقان منطلقا " ويقول ايضا " ابن سفينتك التي ستاخذ فيها من كل جنس ، زوجا من الحيوان والبشر "3.

ان قصصا دينية موروثة لاتقبل التأويل ولا الاحالة الى ما قبلها ، كونها رسخت في القران الكريم اولا ، ثم تناقلتها الشعوب بوصفها اسطورة ترتبط بشخصيات دينية راسخة رافضة لاي تفسير اخر ، يجعلنا امام مقاييس تبدو مختلفة او عكسية يقدمها الراوي لاسيما بعد ان يطلق عليها اسم النبي نوح ، وهو ذاك الرجل

الصالح ،الذي بنى السفينة بايعاز من الله عز وجل ، وسط سخرية الكفار ، وبعد تحذير رباني بان الطوفان ات .

ولعل الرابط هنا بين النبي نوح وسميه شخصية البطل ، هي السفينة التي بناها لياخذ بعضا من قومه المؤمنين بقضيته .

يحضرني سؤال كثيرا ما يتردد معي عند قراءتي للشخصيات الاسطورية او الدينية الموروثة، ترى هل لنا الحق في التفكير بمزاج هذه الشخصية وكيفية تصرفها ؟، لاسيما عندما انظر الى الشخصية بوصفها انسانا مجردا مثلي قبل ان يكون ملهما من جهة الاله ، وهل هناك نوع من الالحاد عند توظيف ثوابت اسطورية لخدمة نص معين ، مع الاستفادة من ادوات بعينها او احداث معينه من هذه الاسطورة او تلك ، خاصة بعد ان حصلت على الثبات وهي تصل الينا عبر الزمن .

اذن يمكن ان نرصد ثمة تداخل حول الشخصية يحيلنا الى القصة الاصلية التي تروى بشكل بسيط ومؤثر ، واذا امكن لها التطور اصابت هدفها في القضاء على الكفار في الطوفان الاكبر وبقاء النوع والصفة (الانسان المؤمن) فقط والحيوانات النافعه .

ولان بطلنا يريد استلام دفة الحكم ، وكي يتمكن له ذلك ، البس نفسه لباس الدين ، فاقترن بالنبي نوح عليه السلام ، عندما اخذ معه مؤيديه .

بناءا على ما تقدم نستطيع ان نميز قرائيا " بين الاستعمال الحر للنص الذي يعتبر استمرارا للتخيل وبين التاويل للنص المفتوح ونؤسس حول هذه الحدود ، وبدون ايهام امكانية مايسميه بارث بنص المتعة " 5، وذلك يحيلنا الى الهدف الاول من سرد القصة وهي المتعة ، ثم لانها ترتبط باشخاص مميزين مثل الانبياء ، يجعل منها ثابته ، غير قابلة للتأويل ، او الاقتباس ، الا ان الكاتب اخرجها من هدفها الاصلي ، ليقلب بها مقاييسا معرفية ، وبذلك استقرت تواصليا عندما افادت من استقرارها وقدمها في المرجعيات الانسانية ، وتأويليا عندما قدمت لنا هدفها الشرير من السفينة وبنائها ، وقد فضح (الهدف) الكاتب نفسه على لسان البطل مرة وعلى السنة الشخصيات المساعدة مرة اخرى ، وزعها على شكل حكم ومواعظ ، شاركهم فيها المؤلف نفسه وهو يلمح عن شخصية البطل فيقول :" لم يكونوا يعرفوا ان اسمه الامير نوح ولا انه ابن الحاكم المليائي الذي سؤق البلاد والعباد قبل ان يؤكل حيا مثل الفأر العاجز ، وعندما عرفوا اسمه ، زاد تشبثهم به من بعيد ، لالشيء سوى لطقوسه اليومية ولاسمه "نوح" الذي كانت به بعض الغرابة وبعض من السحر والدهشة "6.

ان ما يعنينا ليس كسر الطوق الديني المتحفظ للقصة ، انما التمكن من ادواتها بما يخدم وجهة النص ، وان قدمت في القراءة الاولى لها شيئا من الالحاد .

ولاينسى الكاتب ان يقدم الوجه الاخر لنوح ، نوح المسالم الذي لاغاية له الا قول الحقيقة والدعوة الى الخير والصلاح ، والذي يشخص ويظهر بوضوح في القفز فجأة بين الذكريات ، كلما احتدم الشر واصبح لابد من منازع للخير امامه ، حينها تبرز الازدواجية التي تحملها كل شخصية عربية في شقيها ، الروحي المتمثل بانصياعها للدين بشكل مسير ، والانساني الكامن في الرغبات والاطماع والحرص على احتواء ملذات الحياة .

مما تقدم تبدو المواءمة صعبة ، لاسيما مع اختيار نص يستحيل الاشتغال عليه بسبب قدمه ، وثبات تاويله ، اذ تبرز معه " مقدرة الفنان الحقيقية في قدرته على الموازنة الدقيقة بين عملية الاختيار التي يقوم بها ، وبين التلقائية التي يجب ان تكون طابع عمله الفني ، ونفس التحدي مطروح امام الباحث في التراث ، ان عليه ان يوائم مواءمة دقيقة بين رؤيته وبين حقائق التراث "7.

ومن الشخصيات الدينية الموظفة وفق ماتقتضيه الرواية ايضا ، شخصية السيدة سارة ، زوجة النبي ابراهيم عليه السلام ، يقول الكاتب على لسان بطلته وهي المرأة ذات الملامح الاوضح في القص ، والتي تلعب الدور الاساس في تحريك الاحداث اذا كان لابد من دور نسائي في الرواية ، تقول سارة:

" انا كذلك مثل الشعر ولست مثل زوجة جدي ابراهيم " 8، سارة هي الشخصية التي تقاسم البطل احداث الرواية ، والرمز الموحي بالشر والمغري به ، وقد ادلت بمعلومات عن نفسها وعن تصرفاتها المتوقعه ، حين سردت جزءا من حكاية النبي ابراهيم عليه السلام مع زوجتيه سارة وهاجر ، كي توحي للبطل انها امراة تشبه السيدة سارة في اسمها فقط لا في قبولها لامرأة اخرى في حياة زوجها ، لذلك اعطته حافزا خفيا لقتل المرأة الاخرى بتوجيه منها .

لعل اهم ما يميز الشخصية هنا ، هو التباسها بعدة شخصيات ، لها مكانتها الخاصة ، في التاريخ البشري ، وهذا ما يفسر سبب توظيفها في الرواية ، او جعلها اداة من ادوات الكتابة ، فهي وحدها كفيلة بالتعريف عن نفسها ، دون الدخول في تفسيرات سردية لها .

شخصيات اسطورية

يقول نوح بطل الرواية" اني ورثت القرنين عن احد الاجداد المنقرضين ..... عندما لاحظت القابلة الانتفاخين في رأسي ، قالت هي علامات الالوهية والخراب والخوف "9، ويستمر الكاتب في السرد للتعبير عن شخوصه فيقول :" المليايي وهو يتحسس قرني ابنه الامير نوح اللذين بزغا فجأة كحمصتين تحت الجلد ، صرخ اعجابا ودهشة ، هو ذا ابني الذي انتظرته طويلا ابن الله ابن الدنيا الذي اتى في وقته سارقا من جده شهريار ابن المقتدر صفة القرنين "10.

من الغريب ان يقرن الراوي شخصياته البسيطة والضئيلة ، بشخصيات قيادية ذات صفات جسمانية قوية ، ايريد الكاتب بذلك ان يسبغ عليها صفات لاتحملها ، ام يدع الشخصيات الهائلة تضفي على البطل هالة من التأثير المفقود .

ان قاريء رواية المخطوطة الشرقية ، يجد البطل وقد قضى اكثر من خمسين سنة من عمره بالانتظار ، دون التحرك خطوة نحو الهدف ، وهو الحكم والسيطرة ، مما يضعف موقفه ، وما زاد على ذلك ان مساعديه هم من يقوموا بعملية توجيهه وتحريكه وفق ما يشتهون .

مع صورة (ذو القرنين) تختلط الرؤيا بسؤال يتجدد مع كل قراءة ، فمن ياترى المقصود ب(ذي القرنين) ، وهل القرنان حقيقيان ام صفة ملازمة لنوع من الاشخاص ؟.

اذا ازحنا صورة البطل الاسطوري ، الاسكندر المقدوني بما يحمله من صفات خارقة للصفات البشرية وهما القرنان ، ومع التقدم بالقراءة يكشف البطل عن وجهه الحقيقي ، اذ يعمل بالدعارة والاتجار بالمخدرات والمرجان ، فما كان من المؤلف الا ان يضفي عليه صفة جسدية تمثلت بالقرنين اللذين لهما معنى اخر عند جمهور القراء مما يفسر " خضوع المنتج في هذه اللحظة لجاذبية الادلة المفردة ، هو ما سبق تسميته بميتافيزيقيا لحظة الاظهار "11.

ان الق الشخصيات التاريخية ، مع التاريخ تلبس لباسا ميتافيزيقيا حقيقيا حتى تخرج عن صفتها الادمية لتتحول الى وهج من خيال ، ونموذج يستحيل الاتيان بمثله ، ويصعب معها تصديق ان هذا النموذج كان يوما ينتمي ما الى بني البشر .

شخصيات من الموروث

_في الطرف المقابل لنوح ، عبد الرحمن صاحب الكتاب المنتظر ، او المخطوطة الشرقية التي قضى البطل خمسين سنة من عمره بانتظار وصولها ، وهي تحوي تاريخ المملكة المبادة ، وكل ما يمكن ان يساعد السلطان في ملكه .

وعبد الرحمن هذا يمثل لنا عن طريق ذاكرة البطل نوح ، وهو ليس الاضحية لابيه السلطان ، لامهم في عبد الرحمن هذا ان البطل نفسه تائه في صفاته فالكثير من عباقرة التاريخ يحملون الاسم نفسه ، فعبد الرحمن شخص يصعب الامساك به او الاحاطة بصفاته ، فمن الجائز ان يجمع سمات كل من سمي بعبد الرحمن في التاريخ ، يقول نوح وهو ينبش الذاكرة ليبحث عن كل شخص يحمل اسم عبد الرحمن :

" _ المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون

_ طبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي

_ رباعيات المجذوب لعبد الرحمن المجذوب

_ امجاد الداخل لعبد الرحمن الداخل

_ مدن الملح لعبد الرحمن منيف

_ لعبد الرحمن شرقو demain rest toujour a fair

_ السيف المكسور لعبد الرحمن الجيلي

مصنفات ، واشعار ، ورجال عديدين ، ولكن عبد الرحمن واحد ، ، كلهم تحكمهم صفة الانتفاضة والتخييم بعيدا عن السلطان "12.

ان شخصيات مفكرة وفاعله وسياسية تحيط بالبطل ، تزيد من ضالة حجمه ، وضعف دوره في الرواية ، لاسيما وانها مرتيطة وبصورة مستمرة بالتاريخ وما مضى من الزمن ، مما يضعها في اطار نموذجي يصعب اختراقه ، ويضع نفسه في ثنائية ضدية ، تتنازعها ايادي الخير والشر ، تكشفها العملية الممنهجة والمستمرة للسرد في الرواية ، فالشخصيات مع حواراتها الداخلية ، يخدمها السرد لتأخذ مساحة كافية لتعبر عن نفسها ، ولعل انفراد البطل مع ضعف شخصيته بسرد الرواية ، يوفر التشظي الفكري للقاريء ، مما يستدعي وقفات قرائية عدة .

يقول الراوي على لسان بطله وهو يصف الطرف المقابل الايجابي وهو محرك الرواية الثاني :" كان مولعا بشخصية هتلر ويرى العالم كله مخطئا في حقها يقول ماذا فعل الرجل المغبون سوى انه احب وطنه لدرجة الجنون ؟ وكان يعشق غاليباردي ، وبسمارك ، وميشال عفلق ، اصبت بلوثته بالاعجاب "13.

وفي مكان اخر من الرواية يقول عبد الرحمن والذي يمثل عامل الجذب الثاني : " لقد اعجبتني كتابات هتلر وبسمارك وغاليباردي وميشيل عفلق "14.

من الواضح ان الكاتب يعلن تمرده على لسان البطل ، القائم على عكس الوقائع ، وتجميل ما هو قبيح ، وتشويه كل ما ورثناه ، وما استقر من حيثيات جمالية او نصحية او قيمية ، وكأنه يتعمد قلب الموازين الاخلاقية بشقيها السلبي والايجابي .

اذن نحن ازاء انفعال بالافعال والاحداث التي صنعت الشخصيات النموذج ، وليست بالشخصيات بحد ذاتها ، فنكون ازاء حقيقة ان " مادة الفن ليست في الذات وانما في الموضوع ، لان العالم الخارجي بكل ما

فيه من اشياء مادية اصبح يعلن استقلاله عن الانسان وتمرده عليه ، ومن ثم لم يعد في مقدور الفن تصوير فعل الانسان في شيء وانما انفعاله به "15.

ان ربط واستحضار شخصيات تاريخية ودينية واقرانها ببطل الرواية ، او حشرها في السرد ، يكشف بصراحة عن اعباء شخصية يحملها الكاتب لشخصياته في الرواية ، ولانه لايريد الوقوع في شرك التشتت وضياع الفكرة في سرد طويل ، يحيل بعض صفات البطل الى شخصيات تاريخية معروفة ، ومما يزيد بشتاتها ضياع الضمير ، فالمتكلم غير واضح ، هل هو المتكلم فعلا ام المخاطب ، مع الحفاظ على فوقية الكاتب " لان الفوقية تعتبر ضرورية بالنسبة للمؤلف ازاء الشخصية ، حتى تمنح الشخصية قوة تتجاوز قوة المؤلف حتى يصير شبيها بموقع الشخصية "16.

تحليل الشخصية هيرمونوطيقيا

ونحن ندخل عالم الرواية ، ونتناول شخصياتها بالتحليل والتأويل ، في الحقيقة نقوم بتأويل ما تقوله الشخصيات ، بدءاً من الكاتب ، ووصولا الى الشخصيات التي تتكلم باشارة وتوجيه من المؤلف ثم تتحكم بنفسها شيئاً فشيئاً ، اذ لا بد ان تنفلت من قيد المؤلف ، وتكبر وتتثقف على حسابه ، فضلاً عما تطرحه من افكار تتكشف اثناء عملية السرد ، لذلك تكون النصوص فضفاضة يصعب تحديدها ، لذلك يكون من العسير ان ننقد نصا ، لانستطيع الامساك ببدايته ونهايته ، فو يخلو تماما من أي اشارات زمنية ، كذكر سنة ، او حدث معين يمكننا من التكهن بتاريخه ، كي نستطيع تحديد ابعاد الشخصية في ضوء معرفتنا التاريخية .

ثمة تداخلا نصيا موروثا يتوالد مع الزمن وعلى السنة الشخصيات ، لانقول عنه انه صالح لكل الازمان ، بالقدر الذي يستعمل بقالبه اللفظي الخاص به ، والذي يعود للتداول في كل عصر ، فضلا عن افعال بعينها تقفز للذاكرة قابلة للشك او اليقين بها ، يقول البطل نوح وهو يلمح الى ابعاد شخصيته مما يسمح للقاريء بتحديد سماتها الاولى : " لست في غار حراء اتلذذ بتقليب كلمات ورقة بن نوفل ، وحكم اليونان المنسية وتدوين ابجديات الامم البدائية ولكني في مواجهة البحر"17.

لايخفى على القاريء ان البطل يضع نفسه في مرتبة فوق مرتبة النبي محمد (ص) والعياذ بالله ، وقد يصل الامر معه حد الالحاد ، وهو يهزأ او يشكك ، في ان ما جاء به النبي محمد (ص) ، هو من جراء التفكر بكلمات كتبها الموحد ورقة بن نوفل ، والاطلاع على حكم اليونان وابجديات الامم البائدة ، وقبل ان ندخل في الحكم على النص وبموضوعية متناهية ، اجد ان من الانصاف ان ننظر الى النص بوصفه صادرا من ذات مؤلفه الى ذات قارئة فتتحول الى كشف مستمر للافكار والانفعالات ، فتصبح " الموجهة بين المؤول والمؤلف يجب ان تفهم باعتبارها التقاء بين فرديتين في علاقة حوارية ، ومن هنا تنجم الرغبة في الاحساس بالاخر "18.

اذن لابد ان نتكيء على النصوص المطروحة من جهة الشخصيات ، فهي افكار تتيح للقاريء توجيه نفسه حسبما يريد المؤلف ، وتخرج بنفسها الى مزيد من التوقعات ، ولكن ذلك قد يكون صعبا او مستحيلا مع الموروث ، الذي نقترب منه ونتلمسه برفق ورهبة ، لاسيما وهو يتمتع باستقرار ذهني تأويلي معاً ، وهو عندما يدخل مجال الكتابة والتحليل يواجه شرخا انفعاليا معينا ، اذ يدخل صراعا يشكل " التوتر القائم بين السنن الاجتماعي والثقافي للقاريء وبين الطبيعة الحديثة للنص ، فالنصوص الادبية تعيد تسنين السنن عن طريق الانتقاء والتوليف وهكذا سيجد القاريء وهو يجمع المعنى ، ان هناك تنافرات بين سننه الخاص وبين السنن الذي اعيد تشكيله في النص "19.

واذا رجعنا الى البطل ، نجده بلا دين محدد ، ولعل زواجه بسارة في نهاية الرواية _ وقد زودنا المؤلف بمعلومات عن اصل ديانتها وهي اليهودية _ يفسر استخفاف البطل بالنبي محمد (ص) نبي المسلمين ، يقول البطل في نص اخر ، وقد احاطه بقوسين صغيرين ، " اولاد ال..... ! هل تسمعونني ؟ ها انذا! ذو القرنين ، اقف في مواجهتكم مثل الحائط ، هللو لهمامكم الذي اطعمكم من جوع وامنكم من خوف "20.

اعتقد ان القران الكريم بنصوصه ، يوفر قوالب جاهزة للقول اكثر منها للفهم ، لاسيما التي تتردد على الالسن بكثرة ، لذلك تصبح صالحة بوصفها تداول لفظي ، مما يوفر اجراءات لغوية لاحدود لها ، تصلح للاستارة بشكل مستمر اذ " تخلق الاستعارات معنى جديدا باخراجها عمليات تاويلية اساسية لدى القاريء ن ويمكن لتجربة تفسير استعارة مبتكرة ، ان تغير العادات الادراكية للقاريء لانها تترك اثرا في وجوه اساسية للفهم " 21، مما يضيف للنص اندهاشا من نوع خاص ، لم يكن يخطر على بال القاريء ، وكان الالفاظ طرحت للفهم للتو ، لابل ان البطل يضيف لنفسه شيئا من العلو والرفعه باستعماله الفاظا من القران الكريم خص نفسه بها ، وهي ترجع بحقيقتها الى الله عز وجل ، مما يوضح ان استعماله لهكذا الفاظ ليس الا استعمالا قيميا .

يقول البطل في نص اخر مناجيا نفسه :

" وعندما ينفخ في الصور ، ستجد من يوقظك ويقودك ظافرا الى طريق السلطان ، عش حياتك داخل الماء وخارجه ، ابن سفينتك التي ستاخذ فيها من كل جنس ، زوجا من الحيوان والبشر "22.

ها هو البطل مرة اخرى ، يدخل مع نفسه في حوارت داخلية ، يؤله نفسه فيها ، واحيانا يتجلى اثناء السرد بكامل ضعفه وعاطفته وانفعالاته ، حين يتوحد مع سميه نوح الشاعر ، وهو يتمثل عواطفه وانكساراته وخيباته ، واحلامه بالمدينة الفاضلة والديمقراطية .

ان السرد وهو يدخل حيز التناص على لسان البطل ، يكشف ما يعانيه المؤلف من تشضيات فكرية ، غير نمطية ، يواجهها اثناء مسيرة الكتابة ، فتجد البطل مثلا يتكلم ويصف وينفعل ، ويؤسس لشخصيات الرواية المساعدة له ، فيقول " اوسكار لاينطق عن الهوى مطلقا "23، "فرض البيعة تحت الشجرة " 24.

ان ما تقدم من توظيف تناصي يحيلنا الى " ان البنى الدلالية التي تحكمنا تفكر فينا ، والتقاليد التي تطوق حيواتنا "تتفكر ذاتها " أي انها تتجلى وتكشف عن مصادرها الدلالية من خلال الناس الذين يتخللونها والذين يؤيدون هذه التقاليد عبر الزمن " 25، هذا اذا نظرنا الى الموروث الديني والقصص على انها مجرد اوعية دلالية قد تخرج عن نطاق استعمالها القراني ، لتدخل ضمن أي استعمال اخر ، او نسمح لها اجتماعيا وتداوليا ، بتعددية دلالية منفتحة مادامت قد خرجت عن نطاقها القراني او العرفي .

ان البطل هنا يفعل الحوار النفسي عن طريق السرد، ويعرض في اثنائه شخصيات الرواية الاخرى ، وان استلهام نصوص بعينها ، لا يقدم شرحا وافيا عن ذاته فقط ، انما يستخدم هذه النصوص ليقدم تحليلا نفسيا للشخوص المحيطين به ، وبذلك يقوي حجته او يزيد من امتاع القاريء ويعمق من انفعالاته بالقراءة بالتقاط كل صغيرة وكبيرة ، ، فالسرد " باعتباره اداة التشخيص الاولى يشكل قوة ضاربة في مجال التواصل والاقناع والسيطرة على كل المناطق الانفعالية داخل الذات الانسانية ، تستوي في ذلك انفعالات الكبار والصغار ، فهو قادر على التسلل الى وجدان المتلقي في غفلة من العقل وادوات الرقابة داخله ، فالسرد لايقدم حقائق جاهزة ، انه يقوم ببنائها استنادا الى تفاصيل الحياة وهوامشها "26.

ان الذاكرة وهي تحمل نصوصا مستقرة في الذهن ولا نعرف وقعها الدلالي ، حتى تدخل في الاستعمال او التداول لكن بطريقة اخرى ، يقول " مزقتها ومضغتها وشعرت فجأة باللذة التي انتابت هند وهي تلوك

كبد حمزة عم الرسول ، ثم رميت كل شيء من فمي ، لاني شعرت بمغص الحروف التي تشبه المسامير وهي تبحث عن اماكنها داخل بطني "27.

اننا نستطيع ان نجزم وبشدة ان منظرا مثل ما يقدمه البطل مثيرا للاشمئزاز، غير انه يعكس الانفعال عندما يضيف له اللذة ، ثم يرجع لينفيها في (رميت كل شيء من فمي) ، فلا يساوي بين الفعل ورد الفعل ، فجدلية الخرق هنا تحدث نوعا من الانقسامات الانفعالية في نفس البطل ، ثم في نفس القاريء ، للحيلولة دون الوصول الى مسار منطقي للسرد ، اذ يضع الرواية كلها في حالة تأزم وتهويم ، مما يعمق ميزة الخيال فيها .

ولاننس ما تخلفه النصوص الدينية من تشبث سطحي ، بهدف السيطرة واستغلال الرعية بهذا التمسك الكاذب ، يقول نوح في الاوراق الاخيرة بعدما تأكد من الامساك بدفة الحكم " وقد رأى الناس في الفضاء الازرق كتابات خضراء مشعة ومضيئة وانا كذلك اشهد اني رأيت ما رأوه (لايغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)،(الامير نوح الصغير سلطان الدين والدنيا)، (اطيعوا اولي الامر منكم)....."28.

ان اسئلة عدة تظهر مع التمثل النصي لاسيما الديني منه وهو يستلهمه او يستوحيه ثم يقحمه في ثنايا السرد ، والذي نطلق عليه خطأً الموروث ، ذلك ان تراثنا الادبي كله يندرج تحت مسمى الموروث ، غير ان النصوص الدينية ممثل القران الكريم والاحاديث الشريفة لاتقع ضمن الموروث فهي تتمتع بثبات لفظي دلالي لايخضع بطبيعة الحال للتمطي او التطور الدلالي بفعل التداول .

سؤال اخر قد يتبادر الى الذهن مع القراءة ، هو هل يمكننا تقبل النصوص الدينية ، بشكل تناص لفظي او دلالي ، أي انها يمكن ان تستغل بقالبها ومعناها .

وهذا فعلا ما يحدث في الرواية ، ولااستطيع الجزم اذا كان المؤلف يقصد التمثل النصي كما اسلفنا ، ام يريد ان يقحم القاريء في مواجهة نصية مع ضعف الاستعمال ، ، او زجه في أي جهة كانت ، بهدف خدمة الموضوع فقط لاغير ؟، ام ياترى هي اشارة خفية ، تفيد بان الحكومات العربية دائما ما تستعمل الدين للوصول الى الحكم ؟، يقول نوح في الصفحات الاخيرة من الرواية " لقد صرت قريبا من وطنك ، بلادك ، سلطانك . احكم بالدين وحده ، يعليك من لاسمولهم ، اذا حكمت بالدنيا اكلوك ، سم بلادك " مشيخة امادرور* الاسلامية " قل انك الفاطمي المنتظر "29.

فضلا عن ان السرد يمنح الرواية مساحة واسعة من الوصف والتضمين ، والشرح والتحليل ، والاستبطان ، وفتح الحوارات النفسية الداخلية ،فهي تعالج الموروث من وجهة نظر الشخصيات معالجة معاصرة مع فقدان الزمن واتساع المكان ممثلا بالصحراء والبحر ، مما يوفر متنفسا للمؤلف والقاريء ، اذ يحمل الدلالة ما شاء لها من الصور ، ويطلق العنان للخيال لاسيما وان زمن الرواية زمنا مستقبليا ، ضمنه المؤلف روايته بتنويهات قليلة متناثرة هنا وهناك في ثنايا السرد ، يقول الكاتب" في الالف الثالث من الزمن الميت "30، ويدرج في هامش الصفحة التاسعه ، وهو ايضا زمن مجهول (رواية رمل الماية ، فاجعة الليلة السابعه بعد الالف ، والمخطوطة الشرقية ، استمرار لليلة نفسها) .

*امادرور حضرموت

ان هذا التيه المتعمد من جهة المؤلف ، وهو يصدره الى القاريء عن طريق الرواية ، يصنع فراغا افهاميا ، يجدد فيه تأويلات القاريء المعتمدة اصلا على الذاكرة وما تحتفظ به من موروث ، فتنحسر وظيفة القاريء في ترتيب افكار شفروية مبعثرة وتركيبها بشكل يتواءم وحدس القاريء اذ" عادة ما يقع الخلط بين الاثر المطلوب تحقيقه بالقول والقوة اللاقولية للملفوظ "31.

الوقع الحركي للنص

قليلة هي الحركة وتبدل المكان داخل الرواية ، والطرق المتوفرة في النقل ، او الموحى بها ، فها هي السفينه المؤمل بناؤها ، والسيارة التي تنقلهم عبر الصحراء ، وهي وسائل النقل المتاحه والتي يتحرك الشخوص بوساطتها ومن ثم تشكل ملامح المكان وحدوده ،اما مايخص الحركة والانتقال بين سرد واخر فيبدو ماثلا بالنصوص الموروثة او بمعنى ادق التي ترد في السرد فتحدث هزة لنسقية الحكي ، خاصة وهي ترتبط بحركة معينة يقول :" منذ ان زلزلت الارض زلزاله واخرجت اثقالها وقال سكان امادرور مالها فقيل لهم انما نوح اوحى لها "32.

بغض النظر عن ان المؤلف اخذ الاية بنصها ام قصد معناها، لكننا لانستطيع اغفال الربوبية التي منحها لنفسه ، فها هو يغير طبيعة الارض ، اذ اصبح قرينا لله تعالى ، وقرينا لنبيه كما في النص الاتي " ها انذا ات يا ابناء الزانية ، ات على براق من ريح وهواء وخوف . انتظروني "33.

البراق هنا يشكل الانتقالة بين الواقع والخيال ، وبين الحاضر والمستقبل ، بين ما هو ملموس وما هو مفترض او متخيل ، والبطل يتمثل شخص رسول الله (ص) ، مما يوسع من عنصر الخيال في اجواء الرواية ، بكل ما تحمله الغيبيات من صور لاطاقه للعقل على تحملها .

وعلى عادة الحكومات العربية تزداد تمسكا بالدين وامثولاته ، عندما تنوي التستر على جرائم كبيرة ضد شعبها ، او تريد اقناع الشعب وخاصة طبقة السذج منهم بمشروعية النهب والسلب والفساد والقتل ، لتغرق الشعب في ثنايا واعطاف الدين ، وما هو حلال وما هو حرام ، لتتفرغ لنهب الاموال ، فهي حركة دائمة بين الشعب وحكوماته ، اذ يتمكن البطل من تقمص دور الحكومات عندما يضع في اخر الرواية ، شعارا تحمله رايته المزعومة ، ويحددها بخط غامق ، يقول :

" مشيخة امادرور الاسلامية ، وحاكمها
الفاطمي المنتظر الامام نوح سلطان
الدين والدنيا اختبرني ربي فاحسن
اختباري " لايغير الله ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم "34

تتحقق الغاية من الشعار في خطه على الراية ، والراية متحركة بفعل الرياح ، مما تجبر المار والرائي على قرائتها ، فضلا عن كونها شعارا للدولة ، لاسيما وهو يستوحي الايات القرانية ويوضحها ن فيخرج

بالنص عن قولبته القرانية ، اذ يفعل عملية القراءة بكل انواعها ،سواء كان لها وقعا سلبيا او ايجابيا " لتلك النصوص في هذه البنية المنجزة التي لايمكن ان تكون بوضوح متطابقة مع النتيجة النهائية لانه بدون مشاركة القاريء الفردي لايمكن ان يكون هناك أي انجاز " 35، هذا اذا وضعنا في الاعتبار ان حركة القراءة بين شخصين مع حركة النص الداخلية ، تفعل عملية التأويل اكثر ، فضلا عن ان حركة القراءة بين اكثر من شخص تضيع الكثير من الاحالات ، مثلما تستطيع ان توسعها .

النتائج

- الرواية خالية من الزمن
- الشخصيات يتعمد الراوي تهويمها عندما يقرنها بشخصيات تاريخية .
- شخصية البطل شخصية ضعيفه ، موجهة ، غير قابلة للنمو.
- الارتداد الى النفس والتقوقع داخلها .
- الرواية باكملها تتكلم عن عالم خيالي ، افتراضي ، مما يجعلها غير متوقعه .
- ان كل قراءة للرواية تخرج بتصور جديد ، يسبب خروج الشخصية عن النمطية .
- الشخصيات غير نامية او متوقفه ، لكن الاحداث هي التي تقودها وتغير مسارها .
- الرواية كتبت سنة 2002، غير انها وبعد احدى عشرة سنة من قراءتها تعطي انطباعا ، بانها كتبت قبل ثلاث سنوات بالتحديد ، وكان الكاتب يستبصر الاحداث السياسية والانقلابات العربية ضد الحكم ، ويتكهن بالنتائج ، وكانه عاشها فعلا .

الاحالات

1- بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، 1990 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ص20.
2- المخطوطة الشرقية ، واسيني الاعرج ، دار المدى للثقافة والنشر 2002 ،ص15.
3- الرواية ، ص202.
4- الرواية ص140.
5- الاستعمال والتاويل ، القاريء النموذجي ، امبرتو ايكو ، ترجمة احمد بو حسن ، مجلة افاق ، اتحاد كتاب المغرب ، عدد 908، 88، ص145.
6- الرواية ، ص18.
7- اشكالية القراءة واليات التاويل ، نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، ص229.
8- الرواية ، ص352.
9- الرواية ص35.
10- الرواية ،ص244.
11- اليات انتاج النص الروائي ، نحو تصور سيميائي ، عبد اللطيف محفوظ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ص208.
12- الرواية ، ص188.
13- الرواية ، ص37.
14- الرواية ، ص168.

15- حول بعض المفاهيم في الرواية الجديدة ، كرومي لحسن ، تجليات الحداثة ، العدد 3، معهد اللغة العربية وادابها ، جامعة وهران ، ص124.
16- الروائي وشخوصه ، فرانسوا مورياك ، ترجمة علاء شطنان التميمي ، جمهورية العراق ، وزارة الثقافة ، دار المأمون ، ص17.
17- الرواية ، ص12.
18- انظر من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة ، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية، عبد الكريم شرفي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ص29.
19- افاق نقد استجابة القاريء ، من قضايا التلقي والتاويل ، فولفكنك ايزر ، ترجمة احمد بوحسن ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناضرات رقم 36، الدار البيضاء ، 1995،ص220.
20- الرواية ، ص36.
21- القراءات المتصارعه ، التنوع والمصداقية في التأويل ، بول ب ارمسترونغ ، ترجمة وتقديم فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ص114.
22- الرواية ص140.
23- الرواية ، ص142.
24- الرواية ص149.
25- القاريء في النص ، مقالات في الجمهور والتاويل ، تحرير سوزان روبين سليمان ، انجي كروسمان ، ترجمة د. حسن ناظم ، علي حاكم صالح . دار الكتاب الجديد المتحدة ، ص216-217.
26- السرد الروائي وتجربة المعنى ، سعيد بن كَراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص238-239.
27- الرواية ، ص278.
28- الرواية ، ص398.
29- الرواية ، ص409.
30- الرواية ، ص15.
31- في المعنى ، مباحث دلالية معرفية ن صابر الحباشنه ، المركز الثقافي العربي ، الدار البضاء المغرب ،الطبعة الاولى ، 2008، ص151.
32- الرواية ص432.
33- الرواية ص434.
34- الرواية ، ص456.
35- فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب في الادب ، فولفغانغ ايزر ، ترجمة وتقديم د. حميد لحمداني ،د.الجلالي الكدية ، منشورات مكتبة المناهل ، ص19.

المصادر والمراجع

1 _ افاق نقد استجابة القاريء ، من قضايا التلقي والتأويل ، فولفكنك ايزر ، ترجمة احمد حسن ، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات ، رقم 36، الدار البيضاء ، 1995
2_ اشكالية القراءة واليات التأويل ، نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ،

3_ اليات انتاج النص الروائي ، نحو تصور سيميائي ، عبد اللطيف محفوظ ، الدار العربية للعلوم ، ناشرون .
4_ بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي 1990، المركز الثقافي العربي ، بيروت .
5_ حول بعض المفاهيم في الرواية الجديدة ، كرومي لحسن ، تجليات الحداثة ، العدد 3، معهد اللغة العربية وادابها ، جامعة وهران.
6_ فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب في الادب ، فولفغنغ ايزر ، ترجمة وتقديم حميد لحمداني ، والجلالي الكدية ، منشورات مكتبة المناهل .
7_ في المعنى ، مباحث دلالية معرفية ، صابر الحباشنة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء الطبعة الاولى ، 2008.
8_ من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة ، دراسة تحليلية نفسية في النظريات الغربية ، عبد الكريم شرفي ، الدار العربية للعلوم ناشرون .
9_ الاستعمال والتأويل ، القاريء النموذجي ، امبرتو ايكو ، ترجمة احمد يونس ، مجلة افاق ، اتحاد كتاب المغرب ، عدد88،908.
10_ الروائي وشخوصه ، فرانسوا مورياك ، ترجمة علاء شطنان التميمي ، جمهورية العراق ، وزارة الثقافة ، دار المأمون .
11_ القاريء في النص ، مقالات في الجمهور والتأويل ، تحرير سوزان روبين سليمان ، انجي كروسمان ، ترجمة د. حسن ناظم ، علي حاكم صالح ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، .
12_القراءات المتصارعة ، التنوع والمصداقية في التأويل ، بول ب ارمسترونغ ، ترجمة وتقديم فلاح رحيم ، دار الكتاب الجديد .
13_ السرد الروائي وتجربة المعنى ، سعيد بن كراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب .
14_ المخطوطة الشرقية ، واسيني الاعرج ، دار المدى للثقافة والنشر ، 2004.

What lies behind lines of oriental script

Asst. Inst. Rokia A. Ahmed

Abstract

It is Surprising that speech feature does not stop even with silence, whether this silence is a disable of the speech device or illness which makes man unable to speak ; and stranger than this, that man does not stop talking even while sleeping in dreams and the analects within even though , they are mostly silent.

So, it becomes inevitable to offer a linguistic theme calls to communicate, as long as there are people communicating.

Because novel is another vision of life, it is necessary to bring out people, so you give the communication its meaning particularly reading communication, and all its claims of open interpretations presented by the character , declared or hidden, so, the reader would receive these interpretations to think about consequences

The character is a carrier vessel, which connects both ends of the novel, the hidden party, the writer and the visible party , the reader, the two parties connect both ends of the novel and its emotions even though there is no description of physical or virtual of decorations and accessories and thus the character becomes the touchstone in the processes of writing and reading together.

In modern writing , we may encounter characters that take a stagnation setting and during narration process , it becomes just a repletion to itself, imprison of the soul within the body , rumination and rerepresntation of the past by recalling mythological figures to help him cling to life .

I have addressed the mentioned above in many levels , such as relationship between names and characters (heritage, both legendary and religiously) historical figures, as well analyzing character Herrmonoutikie. It is necessary for the reader to understand the character in novels in order to be able to communicate with them or help him to participate , along with the help of characters , in making other understand. Novel is a new way to understand life. The last level is the motion impact of the text , which plays a major role in transferring events from place to another even though it is an intertextuality the author trying to establish the novel, even if it exceeds the sanctity of some of the texts, as it comes to cynicize religious figures, to divert the stable concepts .

And finally the results that summarize of the study along with most important notes

السيرة الذاتية

ا.م.رقية اياد احمد - محاضرة في كلية العلوم الاسلامية في مادة النحو - محاضرة في كلية الفنون الجميلة في مادة اللغة العربي - ماجستير في اللغة العربية / ادب حديث - مدرس مساعد في الجامعة التكنولوجية ادارية ومحاضرة لمادتي الديمقراطية وحقوق الانسان - مدرس مساعد للغة العربية العامة في كلية اللغات - مصححة لغوية في جريدة لغات - مصححة لغوية في مجلة اللغات والتي تصدرها كلية اللغات - عضو دائم في لجنة الترجمة في بيت الحكمة .

Email: Rokia_ammaar@yahoo.com